المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

التعامل مع التراث بين النسق المعرفي و الاتجاه الأيديولوجي
مقاربة أبستمولوجية في صناعة الفهم

أد بدرالدين زواقة

– جامعة باتنة

أستاذ مشارك جامعة ام القرى سابقا

zaouaga@yahoo.com

00213560196908

00966545277099

تمهيد:

شكل التراث و التعامل معه منهجيا وموضوعيا في الدراسات الدينية عبر أجيال متعابقة و خاصة مع ظهور نسقي "الظاهر و الرأي " مدار الاهتمام المعرفي والايديولوجي للباحثين المسلمين و المستشرقين .مما أنتج حراكا على المستوى المعرفي و الثقافي. و اعتقد ان الخلط بين التوجه المعرفي و الاتجاه الايديولوجي في التعامل مع التراث اربك العملية العلمية الموضـــوعية و اصـــبح التراث محل تجاذب ايديولوجي خارج النسق المعرفي .

فكان هذا البحث مقاربة في وضع ارضية علمية في بناء الانساق المعرفية التي تعطل العمل بها منذ لبنة الشافعي و رؤية الشاطبي و وجهود المدارس و الحواضر العلمية مثل الازهر و الزيتونة و القرويين و بجاية .

و قد ظهر الكثير من الجهود من داخل المدرســـة التقليدية لوضـــع منطلقات متجددة في التعامل مع التراث. لتجاوز الخلاف النمطي التقليدي بين مدرسة اهل الرأي و أهل الحديث من جهة.

ومن جهة أخرى ظهرت مدرسة أخرى استفادت من المناهج والأدوات العلمية التي تطورت في الغرب ،و حاولت تقريب مناهج العلوم الانسانية و الاجتماعية و اعتمادها في التعامل مع التراث، خاصة في ذلك ثلاثية :" العقلنة و الأرخنة و الألسنة".

و فكان هذا البحث رؤية موضوعية و أرضية استشرافية في وضع آفاق متجددة في التعامل مع التراث وفق نسق معرفي أصيل ومعاصر لتجاوز التجاذبات الأيدولوجية والتنزيلات الدغمائية، يحقق ضوابط الفهم و يلغي شطحات الوهم .

اولا: مدخل الى الانساق المعرفية:

تمثل المعرفة الانســـانية قديما وحديثا محور الوجود الانســـاني و مركز التدافع و التواصـــل ، من خلال الفعل الفلســـفي المتعلق بحقيقة الخلق والوجود. فكان العقل مرتكزا مهما في هذه المعرفة من خلال ما ميز الله به الانسان من تفكير و تحليل و توصيف و تفكيك و تركيب ومحاولة قراءة الزمور و الاشارات و الدلالات مستعينا بالحواس التي اضفت على العملية العقلية المزيد من الاستكشاف و الاستطلاع في شؤون الكون و المحسوسات.

ومن هذا المنطلق ندرك أهمية النســق المعرفي الذي ينطلق منه صــانع المعرفة أو الباحث عنها ،باعتبار إن الإبســتميه هو نظام الفكر العميق الذي يســيطر على البشــر طيلة فترة معينة من الزمن، أو هي النظرية النموذجية التي تســيطر على جماعة المفكرين طيلة فترة معينة من الزمن، والتي يفســرون من خلالها كل شــيء، وذلك قبل أن تســقط وتنهار وتحل محلها نظرية جديدة، فهناك الإبســتميه الأرسطوطاليسي، وهناك الإبستميه الغاليليوي، وهناك إبستميه نيوتن، وإبستميه اينشتاين، وكل واحدٍ من هذه الإبستيميات كان

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

يستخدم في وقته لتفسير الكون والعالم، وبالتالي فالإبستميه يعني نظام الفكر المسيطر في مرحلة تاريخية ما وبيئة ما (Espace_réservé1) (صالح، 2005)[1].

و هذا الذي يفسر ظهور المعرفة في كل زمان و مكان من خلال:

- ✓ وجود نسق معرفي محدد.
- ✓ الحاجة البشرية للبحث و المعرفة.
- ✓ ضرورة وجود النظريات المفسرة.
- ✓ البيئة المناسبة.
- ✓ الهدف تفسير الظاهرة الوجودية و الكونية.

ومن خلال الابعاد السابقة كانت المعرفة السمة الأساس للمجتمعات المتطورة ، فظهرت المناهج العلمية لضبط عملية التفكير و صناعة المعرفة انطلاقا من وضع الأنساق و رسم النظريات و اعتماد المناهج و الادوات ،ومما اضفي علي العمل الفكري و الذهني طابع العلمية و الموضوعية من خلال تصور و اعتماد مناهج البحث المتنوعة خاصة في العلوم الانسانية و الاجتماعية .

فظهرت مدارس متنوعة مثلا الاتجاه الماركسي، والوجودي، والظاهراتي، والبنيوي، والتفكيكي، وكذلك مناهج البحث التاريخي واللساني والتحليل النفسي والأنثربولوجي (طه ، 1995)[2].

و كل هذه الانساق المعرفية و الادوات المنهجية كانت نتيجة طبيعة لتراكم معرفي عند الغرب لم يتوقف، و للإشارة الاستفادة الكاملة من مدارس المعرفة الاسلامية ،خاصة أن رشد و ابن سينا .

فظهرت الكثير من الأنساق المعرفية و البراديغمات الفلسفية و المدارس الفكرية

و النظريات العلمية و النماذج التفسيرية التي تحاول رسم العلاقة و صياغة الرؤية بين الانسان و الوجود. و تنوعت الدراسات و البحوث في هذا المجال التي حاولت ان تضع مفهوما للمعرفة المنتجة للعلم ،لاعتبار ان العلم هو معرفة بدليل وقانون .

وكما يقول توماس كون ان العلم هو تفكير في نسق او انشاء نسق ،فكانت الانساق المعرفية الاساس في الصناعة العلمية و المرجعية التي تحدد ملامح المفاهيم و النظريات .

فكان التفريق بين العلم و غيره باعتبار النسق المعرفي المؤسس له، و قوته من خلال تفسير الظواهر و ضبط المفاهيم و اعتماد النظريات و رصد التجارب و من خلال البحوث الامبريقية الميدانية.

وتميزت كل الامم من خلال معارفها المختلفة و مواقعها المتنوعة و مستوياتها المتعددة بأنساقها المعرفية و الثقافية و الاجتماعية ،التي تجعل منها مرجعية في التعاطي مع الافكار و الاشخاص و الاحداث.

و تميزت الامة الاسلامية بنسق معرفي و مرجعية ثابتة عبر العصور مما اهلها لقيادة العالم في فترات حرجة في تاريخ البشرية ،و ذلك أنها استطاعت ان تتميز بأفكارها المتكاملة

و الشاملة و المجيبة عن تساؤلات البشر المتكررة عن الخلق و الوجود.

[1] هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوربي، دار الطليعة ،بيروت ،لبنان، ط1،2005،ص 131.

[2] طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة ،المركز الثقافي العربي،ط1،1995،ص178.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

وكانت المعرفة الاسلامية المتمثلة في صحة النقل و صدق العقل العنوان الاساس في مسيرة التجديد الاسلامي .

لكن شـــهد هذا الانموذج الرائع افولا أحيانا و ضـــعفا أحيانا اخرى عندما وقع صـــدام غير مبرر موضـــوعيا بين العقل و النقل .....مما اضـــطرا الامة لردم الفجوة المعرفية بينها من خلال تدخل تاريخي للشـــافعي لوضـــع أول الانســـاق المعرفية .....التي تسمى في الدراسات الاسلامية بأصول الفقه [3].

وهنا يقول محمد أركون :" "يُعتَبر المؤلَّف الأول لتأسيس ما ازدهر بعده باسم أصول الفقه" (اركون، 2012)[4].

و المتابع لمسيرة المعرفة الانسانية قديما و حديثا يدرك ان كل الحضارات سبقتها ارهاصات معرفية وفلسفية من مفكرين و فلاسفة تميزوا من خلال كتاباتهم في وضـــع فلســـفات تحاول الاجابة عن تســـاؤلات الانســـان ، و وضـــع تصـــورات نفســـية و اجتماعية و اقتصادية و سياسية لحياة الانسان و تفاعلاته المتعددة في دنيا الناس. فكانت الانساق متنوعة بتنوع الاتجاهات و الحاجيات .

ثانيا: النسق المعرفي للتراث و تطبيقاته في الدراسات الدينية:

يعتبر الوحي نقطة انعطاف هامة في مسيرة البحث عن الحق و الحقيقية ، باعتباره مصدرا اساسا و رئيسا في المعرفة الانسانية ،من خلال محاوره ومقاصـــده واحكامه ..فكان الاسماء التي تعلمها آدم من ربه وحيا نقطة بداية اعتبار الوحي ركنا اســـاســـا في الفكر و المعرفة و العلم .

وتوالي الوحي المبارك مؤسسا لنظرية المعرفة الربانية عبر العصور من خلال تعاقب الانبياء و الرسل ،مؤسسا ومجيبا باعتباره المصدر الاساس في الفعل و النية و القيمة[5] ،

و هم مقاصد الوحي و تجلياته في رسم العلاقة بين الانسان وربه و الانسان و نفسه و الانسان و الاخر.

فكانت ثنائية :"النقل و العقل" المسألة و المعادلة في الحراك المعرفي الاسلامي منذ نزول الوحي ، لكن بشدة أقل مع وجود الرسول صلى الله عليه و سلم صحبه باعتبارهم المرجعية في الفهم و التنزيل.

ومع هذا حدث في عصـــر الصـــحابة اختلافا في بعض الرؤى الفرعية و الجزئية و مع ظهور متغيرات جديدة تدخل في دائرة التغير الاجتماعي للامة :

1. متغيرات اجتماعية و تتعلق بتطور المجتمع الاسلامي.
2. متغيرات سياسية و تتمثل في تطور نظرية السلطة.
3. متغيرات حضارية تكمن في توسع الامة الاسلامية من خلال التعامل الواقعي و الموضوعي مع الامم الاخرى.

حيث وقع ارتباكا و اضـــطرابا في هذه المعادلة و اســـتغلت في خدمة المتغيرات الســـابقة ،و لم تكن خادمة لأصـــل المعادلة التي تحقق التوازن الفكري و المعرفي.

و تجسد ذلك في:

1. اختلال الفهم بين مستوى الدين و الفقه و التراث و الخلط بينهما.
2. الاضطراب المتكرر في التعامل مع السلطة السياسية.
3. الاضطراب في التعامل مع الآخر و توسيع دائرة التكفير و التبديع و التضليل .
4. واقع تخلف الامة الناتج عن غياب فاعلية العقل و مركزية الوحي.

---

[3] سنفصل ذلك في العنصر الثاني و المتعلق بالنسق في الفكر الاسلامي.

[4] الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، دار الساقي ،بيروت ،لبنان ،ط1، 1999،ص 7.

[5] تصنيف طه عبد الرحمان لمقاصد الأحكام

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

5. الخلط بين الوحي و النص الديني ،باعتبار ان الاحاديث المروية التي صلت عندنا و التي ليست بالضرورة وحيا.
6. المساواة بين القرآن و السنة في التعامل و التنزيل.
7. القراءات التجزيئية للنصوص مجردة من السياقات التاريخية و و الألسنية والانتروبولوجية .
8. الصراع الوهمي بين العقل و النقل ،و ظهور التفسيرات الدغمائية للوحي ،مما عطل مسيرة الامة الحضارية.
9. الفصل بين العقيدة و الشريعة و بين العبادات و المعاملات في التعاطي و الممارسة.
10. عدم الاستفادة من مناهج البحث في العلوم الانسانية و الاجتماعية ،و اخذ موقف نمطي و صورة ذهنية، باعتبارها مناهج غربية.
11. توقف مسيرة التأصيل و الاجتهاد و التجديد ، وحدوث القطيعة الابتسمولوجية .
12. الاضطراب في فهم معادلة عالم الغيب و الشهادة.

مما انتج الكثير من الظواهر و التصنيفات المتجددة و تتمثل في :

1. ظهور الملل و النحل و الفرق العقدية.
2. ظهور المذاهب و المدارس الفقهية.
3. ظهور الجماعات و الاحزاب الايديولوجية.
4. ظهور المدارس الاستشراقية
5. انتشار الافكار الحداثية .

و كل ما سبق توصيف و تشخيص من خلال قراءة المنتوج المعرفي و محاولة تقييم التجارب الفردية و الجماعية في الفهم و التعاطي و التنزيل .

ومع هذا بدأت بوادر التأصيل و التجديد بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم من خلال رؤى و اجتهادات عمر بن الخطاب ،الذي فهم معادلة الفهم و الجمع بين النقل و العقل ،فكانت خلافته انموذج اجتماعي و سياسي فريد من نوعه باعتبار :

1. التفريق بين الاصول و الفروع.
2. التفريق بين الثابت و المتغير .
3. الموازنة بين الاحكام و المقاصد .
4. ربط الامة بمشروعها الحضاري .
5. الموازنة بين مسلم الشهادة ومؤمن الغيب.

فكان بحق اول لبنة بعد رسول الله في وضع النسق المعرفي المرجعي للأمة في مجالات عديدة أهلته ليؤسس لأرضية عمرية في الدين و السياسة و الاقتصاد و الاجتماع و الادارة .

و وتوالت الجهود في استثمار مرجعية الفهم التي اسس لها سيدنا النبيء ومن بعده الصحابة الكرام عبر العصور .و قد شهدت هذه الجهود الكثير من الاهتزازات سببتها:

1. تجدد الصراع بين العقل و النقل من خلال ظهور اتجاه الرأي في مقابل رؤية الظاهر.
2. تحول المذاهب و الفرق الي ايديولوجيات تتحدد من خلالها التعامل و الولاء.
3. الخلط المتكرر بين الحق و الصواب و بين الباطل و الخطأ.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

4. انتصار السلطة السياسية في بعض المراحل لمذهب معين .
5. الخلط بين المواقف السياسية و الآراء الدينية .

فكان لا بد من نقطة انعطاف اخرى تعيد الامور الى مقاصدها و الخلاف الى محله ،فظهر الامام الشافعي نقطة البداية في صناعة النسق المعرفي الاسلامي الذي يؤسس لقواعد اصيلة في التعامل مع الوحي ،من خلال علم اصول الفقه . فقد بين ذلك "أن كل ما أُنزل في كتابه – جلّ ثناؤه – رحمةٌ وحجةٌ، عَلِمه من علمه، وجهله من جهله... و أنه لا تنزل بأحدٍ من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها" (الشافعي،، 1940) [6].

وكانت هذه اللبنة صمام امان لقرون من الزمن في وضع ضوابط وقواعد في التعامل مع النصوص من حيث الفهم و الاستنباط و الاجتهاد .

و هذه الخطوة الهامة اكتملت ببروز فكرة المقاصد كمستوى ثاني دقيق في التعامل مع النصوص و الاحكام من خلال موافقات الشاطبي ،التي أخذت اهتماما كبيرا في العصر الحالي و كذلك جهود محمد الطاهر بن عاشور و علال الفاسي و الريسوني و الاخضري ....

ومع هذا اصبحت المقاصد مجرد نظريات للفهم فقط بوجود فجوة في التطبيق خاصة مع التطور الملحوظ في شتى الميادين، بحجة النوازل .

ومع هذا كان لمدرسة الازهر قديما و حديثا منحى مختلف من خلال تأثرها برجال الاصلاح الاجتماعي مثل الافغاني و محمد عبده.

فكانت آراء ابو زهرة و محمد الغزالي نماذج و ارهاصات في صياغة نسق معرفي متجدد ،يحقق رؤية الوحي و مقصد الانسان .

و توالت الجهود من خلال مشاريع اسلمة المعرفة التي تحاول الاستفادة من العلوم الانسانية و الاجتماعية من خلال ضبط المفاهيم و النظريات .

قد تفرعت عنها مدرستين: الأولى اتجهت نحو الحداثة، والثانية نحو السلفية الإحيائية، والتي كانت ردة فعل على الأولى، وعن الأحداث الجارية وقتئذ، ويمثل الأولى قاسم أمين، ولطفي السيد، وحسين هيكل، أما الثانية فيمثلها بشكل أساسي رشيد رضا. (غليون، 1991)[7]

و مما زاد الحراك المعرفي مستوى آخر من الصدام و التأزم أحيانا ظهور مدرسة الحداثة ،التي بنت افكارها من خلال النسق الغربي مستفيدة من مناهج البحث الجديدة و ادواته ،فكان هذا النسق محل الانتقاد من قبل المدارس التقليدية ، مما اثر في تطوير مجالات المعرفة و توسيع فجوة الصراع .

[6] الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر ،مكتبة البابي الحلبي ،القاهرة،1940 ص 19 – 20.

[7] أنظر الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، مالطا ، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط1، 1991.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

لذلك أن قراءة التراث الإسلامي قراءة سليمة، تخرج عن الدوائر الثلاث التي غالباً ما تحكم أساليب تعاملنا مع تراثنا في الوقت الحاضر: دائرة الرفض المطلق، ودائرة القبول المطلق، ودائرة التلفيق والانتقاء العشوائي، كما لا يمكن أن تحقق القطيعة المعرفية مع ما يجب إحداث القطيعة معه من ذلك[8] (العلواني، 1995).

و الواجب هنا صناعة فهم جديد ومتجدد يخرج عن الدوائر الثلاثة التي غالبا ما يكون الدافع الوهم أو الجهل أو الهوى.

ثالثا: التراث بين النسق و الايديولوجيا:

ان المتتبع للساحة المعرفية من خلال قراءة وصفية موضوعية واعية يدرك أربعة مستويات في التعامل مع التراث ،و في الحقيقة يمكن الجمع بينهم و ازالة الفجوات الوهمية احيانا وصولا لأرضية توافقية ، وتتمثل في ما يلي:

1. المدرسة التقليدية المتمثلة في المذاهب الاسلامية الكبرى ،و التي تحاول في الكثير من الحالات الاجتهاد و التجديد لاعتبارات واقعية و اخرى موضوعية.

إن أصحاب هذه المجموعة يرون في التجديد مصطلحاً تراثياً صرفاً، بل هو مصطلح شرعي لثبوته بالنص النبوي الذي سبق ذكره.

ومما اثر في عملية التجديد اعتبار صعوبة الخروج من النسق المذهبي و أصول المذهب و اعتبارات الاجتهاد داخله .

مع هذا تطورت الكثير من المذاهب عبر العصور بدخول متغيرات في المعادلة التشريعية.

2. مدرسة التجديد و الاصلاح و تتمثل جهود محمد الغزالي وجمال الدين عطية و عبدالحميد ابوسليمان و عمر عبيد حسنة و طه جار العلواني .

و يمكن أن ننسب إلى هذه المجموعة أيضاً بعض المفكرين من أمثال عمر عبيد حسنة (حسنة، 1994)[9].

و قد تميزت هذه المدرسة بما استفادت به من الحركية الموجودة في الازهر الشريف و ارهاصات رجال الاصلاح مثل الافغاني ومحمد عبد ومحمد رشيد رضا.

و يعتبر كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه , اهل الحديث نقطة الانعطاف في بروز هذا الاتجاه المتجدد في التعامل مع التراث .

و الحقيقة أن الحراك الذي وقع جراء صدور هذا الكتاب فسح المجال أمام الباحثين لنقد و ضبط ظاهرة تعدد اساليب التعامل مع التراث.

3. مدرسة الحداثة و التي تنطلق أساسا من النسق الغربي الحر ،و تم تطوير هذه المدرسة من خلال القراءات التاريخية(الأرخنة) و العقلية (العقلنة) و اللسانية (الالسنة) .و يمثل هذه المدرسة محمد اركون ،عابد الجابري ،حسن حنفي ،محمد شحرور .

[8] طه جابر العلواني، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، د.ن، دار الهداية، ط1، 1995، ص30.

[9] عمر عبيد حسنة ، رؤية في التغيير، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1994، ص36-37، حيث يرى التجديد "نوع من التكليف باستمرار التصويب، وتقويم الانحراف وضبط المسيرة... يتركز حول إعادة المعايرة للواقع والتقويم له بقيم الكتاب والسنة... وعودة إلى إعادة تحريك وتشغيل آليات التغيير الاجتماعي والتعامل مع السنن الجارية"

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

وهنا يقول محمد اركون :" إني أهدف إلى دراسة بنيه العقل الديني وطريقة اشتغال العقل الديني ووظائفه ولا تهمني مضامين العقائد والمذاهب بحدِّ ذاتها، فالمضامين والتفاصيل قد تختلف، ولكن الآليات واحدة" (اركون، 2012) [10].

هذه من جهة ومن جهة أخرى ،"" جعلوا من الاجتهاد اجتهاداً في اللغة التي نزل بها القرآن ، فكانت النتيجة أن شغلتهم المسائل اللغوية عن المقاصد الشرعية ، فعمقوا في العقل البياني وفي النظام المعرفي الذي يؤسسه خاصيتين لازمتاه منذ البداية : الأولى هي الانطلاق من الألفاظ إلى المعاني ، ومن هنا أهمية اللفظ ووزنه في التفكير البياني ، والثانية هي الاهتمام بالجزئيات على حساب الكليات – الاهتمام باللفظ وأصنافه الخ – على حساب مقاصد الشريعة " (الجابري، ط5)[11].

4. مدارس متجددة يمثلها طه عبد الرحمان و ابو القاسم الحاج حمد .

فكان " التبصر بالمنهج القرآني الكلي يدفع بنا عميقاً إلى المكنونات ، ويكشف لنا عن أن الكيفية التي فُهم بها القرآن في مرحلة تاريخية معينة لا تعني أن الفهم كان خاطئاً بالقياس إلى تلك المرحلة ، فذلك حظهم من القرآن ضمن خصائص واقعهم وأبعاده التاريخية ، ولكن الخطأ في تطبيق مفهومية التجربة السلفية على خصائص واقع مغاير بأبعاد تاريخية مغايرة . وتحسباً لهذه المتغيرات التاريخية في الواقع ، مع بقاء القرآن كما هو مستمراً وخالداً ، فقد جعل الله عز وجل المنهج مرادفاً للقدوة النبوية ، وجعل النفاذ إلى المكنون بالمنهج هو البديل عن الفهم السلفي للقرآن " (حمد، 2005)[12].

و هدف من هذا التوصيف الاستفادة من كل الجهود دون خلفيات ايديولوجية و او احكام مسبقة وصولا الى ارضية توافقية جديدة بمستوى رسالة الشافعي لكنها توافق المكان الزمان و الحال .

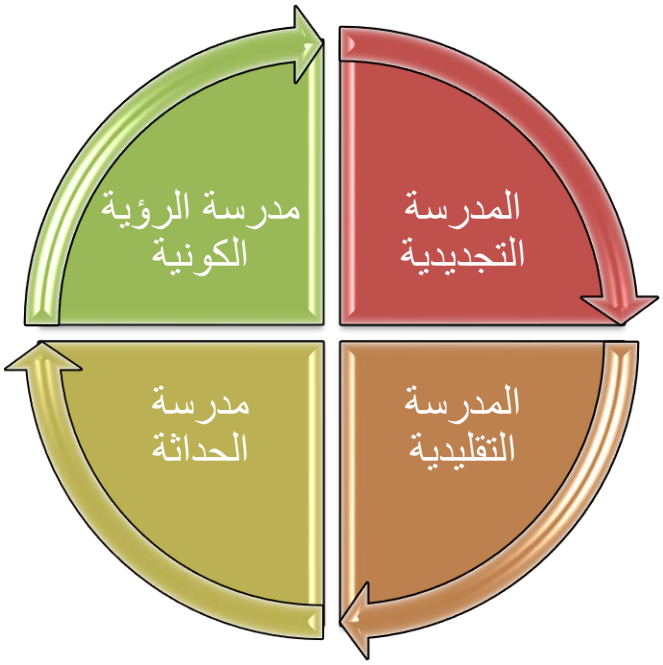

[10] محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي،بيروت،ط6، 2012 ،ص 297

[11] أنظر محمد عابد الجابري ، بنية العقل،المركز الثقافي العربي ،ط5، ص 311.

[12] أبوالقاسم حاج حمد ،العالمية الثانية ،دار الهادي ،بيروت،لبنان ،ط1،2005،ص257.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

والمطلع على هذه المدارس يدرك ما يلي:

1. قيمة تراثنا الديني و الحضاري الذي وجد اهتماما كبيرا من قبل الباحثين ،لأنه يمثل فلسفة الخلق والوجود الذي هو محل سؤال الانسان عبر قرون .
2. أحيانا يكون الاختلاف في نوع النسق المعرفي الذي ينطلق منه المتعامل مع التراث ،و هذا يدفعنا لتجنب الصراعات الايديولوجية و القراءات المسبقة .
3. بعض القراءات التي تصدر من الآخر قد تعيننا على فهم تراثنا ،و ان اخطأ في المنهج أو الفهم .
4. تجنب فكرة المؤامرة و فرضيتها ،باعتبار أن المنهج العلمي يلزمنا بضوابط و اخلاقيات تجعل من التحيز خلاف الاولى .
5. التعصب للتراث على حساب مقاصده التي تتمثل في مصالح الانسان من حيث ضرورياته و حاجياته و تحسيناته يجعل منه محل صراع دائم و مجال تضخم الشبهات .
6. يعتبر المتغير السياسي المتكرر العلامة الفارقة أحيانا من خلال الاستغلال و الاستثمار لهذه المدارس أو الغائها .

رابعا: رؤية متجددة في التعامل مع التراث في الدراسات الدينية:

ان المتتبع لظاهرة التعامل مع التراث من خلال القراءات الابستمولوجية لتاريخه ومدارسه يدرك انها ظاهرة معقدة باعتبار كثرة المتغيرات التي تتحكم في صيرورتها ،و في غياب رؤية موضوعية تتعامل مع المعادلة الاجتماعية في كل زمان ومكان مع مراعاة الأصول

و الكليات و الضروريات ،كان من الواجب علي المدارس العلمية الاصلية أن تولي الاهتمام بالأصول الثابتة الضابطة في خلال عمل ديناميكي مستمر يتوافق مع التغير الاجتماعي ،لأن ذلك نتاج لأزمة فكرية تاريخية" حقيقية، وبالتالي الجهود المهمة التي تشكل "جهوداً تأسيسية" للتجديد هي تلك التي تبدأ "بتفكيك الاستخدام الشائع للنص وإعادة تركيبه ضمن دلالات محددة؛ أي النص التراثي وليس القرآني" (العلواني ط.، 1995)[13].

فأردت ان اضع منطلقات اساسية للتعامل مع التراث من خلال عرض كل التجارب برؤية معرفية :

1. الفقه مقاربة بشرية فقط في فهم الدين، وهو عبارة عن جهد تشريعي لخدمة الدين....و هو محل اجتهاد و تجديد في مجال الظنيات و الجزئيات و المتغيرات .
2. السنة هي المصدر الثاني في التشريع، و لا يجب مساواتها بالقرآن من حيث المنزلة و التشريع.
3. الأحاديث المروية هي جهود مباركة في جمع سنة الرسول صلى الله عليه و سلم، و ليست بالضرورة وحيا، باعتبار ظنية الثبوت و الدلالة أحيانا.
4. الاجتهاد هو سمة أمة الاسلام باعتبارها أمة شهادة وحضارة ،ووجوب ان ينسجم الفقه الاسلامي مع المعادلة الاجتماعية.

"من خلال ممارسة النقد والمراجعة للذات لتحديد موطن الخلل والإصابة وإدراك آليات التوليد فيها ثم التركيب الذي يحقق الأصالة الإسلامية والمعاصرة" معاً ويمكّن "الأمة من الشهود الحضاري[i]"

5. المعرفة الانسانية واحدة ، فيجب الاستفادة من المناهج العلمية الحديثة في الاستنباط

[13] طه جابر العلواني العالمي ، إصلاح الفكر الإسلامي: مدخل إلى نظم الخطاب الإسلامي المعاصر، فيرجينيا، المعهد للفكر الإسلامي، ط3، 1995، ص76-79.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

و الاجتهاد .

6. الوحي له قوته الذاتية ،فالواجب خدمته من خلال تفعيل رؤيته الكونية في عالم الشـهادة ،و ليس بالضـرورة الدفاع عنه ،لأن ذلك يتيح مجال الكهنوتي و الذغمائي كما هو معروف في الديانات الأخرى.
7. الحرية الفكرية رؤية أساسية وفق المنهج العلمي الذي يتوافق مع الوحي بالضرورة .

فيكون بذلك "الجمع بين القراءتين" قراءة الوحي، وقراءة الكون، على أسـاس أن الوحي –كحقيقة مطلقة–معادلٌ موضـوعيٌّ للكون (سليمان، 1994)[14].

8. الحوار مبدأ أساس في صناعة المعرفة و يكمن ذلك من خلال مبدأ حسن الظن وصولا لأرضية موحدة.
9. فلسفة التشريع التي تشمل بداية علم أصول الفقه و المقاصد و غيرها من الادوات المعرفية هي الرؤية متجددة في الاجتهاد و الاستنباط.

ولأن الأزمة التي يغرق فيها المسـلمون عامة شمولية فلا بد أن يكون التجديد اسـتصـحاباً للنصـوص للتلاحم مع الواقع الجديد (عمارة، 1990)[15].

10. العلاقة بين العقل و الوحي، علاقة تجلي وتفاعل من خلال ضوابط للفهم متجددة.

وبالتالي يصبح الاجتهاد هنا بمفهومه العام، والخاص، عنوان شـامل لوسـائل التغيير المختلفة، التي تشـتغل بدءاً من النص القرآني وصولاً إلى التراث الإنساني .

خاتمة :

- طبيعة الاضافة العلمية:

يعتبر هذا البحث مقاربة موضـوعية متجددة في تفكيك ظاهرة التعامل مع التراث من خلال رؤية فلسـفية ، ومن ناقد مهتم بالدراسات الاسلامية و ليس متخصصا فيه

و يمارس الادوات الانتروبولوجية من مشـاهدة و مشـاهدة بالملاحظة لفهم الظاهرة من خلال تجارب و ملاحظات وقراءات وصولا بهذه الأرضية القابلة للتغيير و النقد.

وحاول الباحث ان يقوم بمقاربات توفيقية بين المدارس المعرفية المختلفة ،و هي خطوة جريئة نسـأل الله التوفيق ،من أجـل ازالـة الفجوات بينهـا من جهـة ومن جهـة أخرى دعوة للتقـارب المعرفي متجنبين المواقف العـدائيـة و الآراء الأيديولوجية.

[14] عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط3، 1994، ص10.

[15] محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، القاهرة، دار الشرق الأوسط،1990 (سلسلة الإسلام دين الحياة/5)، ص20.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

- نتائج:

يمكننا رصد نتائج هذا البحث المعرفي الذي يعتبر لبنة لدراسات أكثر عمقا و اثراء لموضوع منهج التعامل مع التراث في ما يلي:

- ✓ أن الاتجاه الايديولوجي أثر سلبا في عملية التعامل مع التراث مما أحدث شرخا في منظومة التواصل المعرفي بين الأجيال.
- ✓ ضرورة صناعة الأنساق المعرفية بصورة متجددة و متواصلة من أجل تفعيل تراثنا المبارك و اخراجه من دائرة التلقين و التنميط.
- ✓ أن الصراع بين المدارس التقليدية و مدارس الحداثة يمكننا استيعابه من خلال خلق مسارات للحوار المعرفي للاستفادة من أصالة المدرسة التقليدية و رؤي الحداثة ،من أجل تضييق مجال الخلاف و جعله في إطاره المعرفي .
- ✓ أن الحواضر العلمية مثل الأزهر مؤهلة موضوعيا وواقعيا للتأسيس لقواعد للفهم متجددة تستوهب الأصالة في الفهم و المعاصرة في التنزيل .
- ✓ التراث الاسلامي هو ملك الانسانية ، فمن الواجب ترتيب مستوياتها من خلال تصنيف الكليات و الأصول ضمن نظرية الثابت و المتغير.
- ✓ وجوب الارتقاء معرفيا إلى مستوى صناعة الانساق المعرفية من خلال اعتماد رؤية جديدة في فلسفة التشريع.

- توصيات:

- ✓ انشاء جسور تواصل مستمرة مع كل المدارس ،لأن الحوار يزيل شبهات الخلاف.
- ✓ ضرورة تجديد أصول الفقه بما يناسب النسق الخاص بأمتنا .
- ✓ الاطلاع على المناهج الغربية في صناعة المعرفة للاستفادة من نظرية الاستئناف الحضاري .
- ✓ أقترح استضافة كل المدارس من خلال ورشات عمل مستمرة في الازهر الشريف لصناعة الانساق المعرفية وفق نظرية المعرفة الاسلامية .

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

ملحق :

عرض قراءة جديدة لنصوص الوحي من خلال نظرية التناص و التركيب اللغوي.

❖ الكتاب: المائدة :قراءة لسورة المائدة:

Le festin une lecture de sourate al m'aida

❖ المؤلف : **ميشال كيبرس :michel cyrpes**

❖ **تلخيص الكتاب: مهدي عزيز. جامعة Provence France**

❖ **ترجمة الملخص :بن عمار شهرة زار جامعة غليزان الجزائر:**

أردت أن أعرض للباحثين قراءة اخرى للوحي من خارج الدائرة الاســـلامية أولا و باعتماد التحليل البلاغي ثانيا ،من القسيس البلجيكي ميشال كيبرس الذي أنطلق من أدوات منهجية خاصة بالتناص و التراكيب اللغوية .

و الهدف من هذا العرض تقريب الجهود التي تعاملت مع الوحي و التراث خارج الاتجاه الايديولوجي محاولا اســتشــراف رؤية متجددة يقول بها الباحثون في هذا المجال .

و أعتبر أن كل الجهود خادمة للمعرفة مع اعترافنا بخصـوصـية الوحي الشـريف و قدسـيته .و اعتقد أنه من الواجب على المؤسـسـات الرصـينة مثل الأزهر التأسـيس من خلال أوراق هذا المؤتمر المبارك لقواعد جديدة و أسـس متينة للتعامل مع التراث مع الاستفادة و التفتح الايجابي مع تطور نظرية المعرفة .

❖ **ملخص الكتاب:**

يقترح ميشــال ســيبرس منذ عشــرات الســنين قراءة القران تحت قاعدة تكوينيه وعلاقات التناص فيه من خلال الأدب الانجيلي والمقدس، يعتبر ميشــال كيبرس مؤلف لعدد كبير من المقالات الخاصــة بالســور المكية التي يطبق عليها منهجية قراءة تعرف بالدراســات المقدســة: التحليل البلاغي "للمائدة" المترجم مؤخرا إلى الانجليزية يقترح هذه المرة تحليل ســور طويلة ومشهورة حسب القواعد الاسلامية العامة، اكتشاف آخر لمحمد (ص) يتعلق بظهور السورة الخامسة في القران ألا وهي "المائدة".

المقدمة كتبت من طرف محمد علي عامر معزي مدير دراســات EPHE يذكر كيف أن المرجع ينضــم إلى ســياق عام للبحث عن بنية وتكوين النص. يؤكد على أوجه القصــور في التقاليد التفسـيرية غير المقنعة عن موضــوع متناقض بنتائج مُلاحظة.

بعض الصــفحات من المقدمة تعرض اســاســيات وخصــائص منهجية التحليل البلاغي، قاموســه (مجموع الكلمات) وصورة/مختصر عامة للسورة المدروسة، دليل على طموح تعليمي لقياس تقانة المنهجية.

و بعد التركيز على أوجه التقدم والقصور في مجموع الاعمال السابقة (الغربية والاسلامية) المكرسة لتكوين وجدولة النص يقدم المؤلف بكل وضوح التحليل البلاغي حصيلة قرنين ونصف من البحث عن الكتاب المقدس وبتنسيق العشرين سنة الماضية من أعمال رولاند ماينيRoland Meynet.

فالتحليل البلاغي يحاول الكشف عن تقنيات الكتابة والتكوين التي تنظم مسبقا تحرير نصوص مخطوطات العالم السامي القديم.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

فمصطلح "البلاغة" يشبه هنا ما استنتجه أرسطو كجزء من البلاغة التي تهتم بجدولة (تصنيف) ومخطط الخطاب: التخطيط باحثين عن "فن تكوين/تشكيل الخطاب"، والتحليل البلاغي يبنى على: تتابع التماثل (التوازي، الترادف، التناقض أو التكامل)، Chiasmالمقابلة العكسية ____مقياس انحراف البصر ___(التوازي المقلوب AB/BA)، والتركيز الأحادي (منحدران اثنان متناظرين يتشاركان نفس المركز AB/x/BA).

هذه البنية الأخيرة تسلط الضوء على الدور الرئيسي "للمركز" أين يجذب الانحدارات المتناظرة التي يربطها المؤلف باهتمام خاص.

و منهجية التحليل البلاغي تقودنا إلى البحث عن توافق/تطابق كل مستويات النص: عنصر، قطعة، جزء.....إلى غاية سبعة أو ثمان مستويات.

و في هذه الحالة الخطة تقوم على تحليل أولا المستويات الدنيا من أجل التقدم نحو المستويات العليا. تحديد التناظر/التماثل لكل المستويات والذي يستقري تجزئة النص إلى وحدات سيميائية/ دلالية.

هذا العمل يقدم على شكل منصات/ارضيات. هي إعادة كتابة (مترجمة) للنصوص القرآنية وترتيبها حسب مختلف التماثلات المحددة في التحليل البلاغي. يذكرنا ميشال سيبرس أن كل اشكال هذه التماثلات كانت قد درست من طرف روبرت لوث Lowth Robert في دراسة خاصة بالأناشيد (Psaumes) كما كشفت على نصوص (الوصايا/العهود) القديمة والجديدة.

والتي تُنظر على شكل قانون يسمى قانون لوند (Lois de lund)، هذه الميزات تقودنا إلى اعتبار أنه يوجد فعلا بلاغة انجيلية biblique خاصة ومن ثم بلاغة سامية/مقدسة والتي تتميّز تماما عن الخطاب/البلاغة اليونانية.

لكن التحليل لا يتوقف على تكوين النصوص أو تسليط الضوء على البنية النصية بل تبحث أيضا عن المشاركة في تأويل النصوص، لهذا الغرض التحليل يرتكز على بحث تكاملي يسمى (Intertextuelleالتداخل النصي/ التناص) .،

فلكل سلسلة تم تحليلها يقترح **ميشال سيبرس** ثلاث مراحل أو خطوات تحليل: تحليل البنى وأحيانا مرفق بأسئلة عن مرادفات لغوية ثم تأويل مبدئي للنص (عناصر التأويل) وأخيرا تحليل مقاربات عن طريق الادبيات الانجيلية. (السياق انجيلي/مقدس متداخل). أو بدقة أكثر التحليل البلاغي يكشف عن بنية سورة V بالتطابق أو بتعبير آخر تحت شكل باهر (صورة طيفية Spéculaire).

هذا البناء يقسم السور إلى جزأين (أ و ب) والتي تشكل بنفسها أكبر جزأين من مُؤلف **ميشال سيبرس** ، الجزء الأول معنون ب"المسلمون، اليهود والمسيح في مواجهة التحالف) يتعلق بتحليل بالجزء A محدد بين الآيات 1 و 74. الجزء الثاني معنون ب"دعوة إلى المسيحيين للدخول في التحالف"، يطبق على تحليل الجزء B محدد بين الآيات 72 و120. هذان الجزءان الكبيران مقسمان بالتماثل إلى ثلاث اقسام فرعية مرتبة في التمركزية (Concentrisme): الجزءان الفرعيان الأوليين يعالجان مسائل دينية بينما يعالج القسم الفرعي المركزي مسائل قانونية

مخلصا لمنهجيته ومن خلال هذا التقطيع النصي (مستوي أدنى وأعلى)، ف**ميشال سيبرس** يرهن دراسته على عناصر تأويلية مرتبطة ومكملة باعتبارات تناصية (كما تقود الواحدة الأخرى)، أيضا يتضمن القسم A خمسة اقسام تتعلق بتنظيم المجتمع الاسلامي الجديد، وفي آن واحد في تنظيمه الداخلي وفي علاقاته مع اليهود والمسيحيين.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

التحليل البنائي يظهر قسم فرعي مركزي يثبت التفوق القانوني لمحمد على منافسيه (الحاخامات)، الجزآن الفرعيان في الاقصى يسلطان الضوء على عدم اخلاص أغلبية اليهود وكذا المسيحيين ورفضهم في الدخول إلى التحالف الاسلامي الجديد. هذا المخطط التركيبي مكرر في القسم B.

أما في القسمين الفرعيين المحيطين هو رسالة إلى المسيحيين لإقناعهم بأخطائهم الدغمائية المتعلقة بهوية اليسوع بينما الجزء الفرعي المركزي يتعلق بالأوامر الموجهة إلى المؤمنين.

مجمل النتائج الظاهرة من خلال التحليل توجد ملخصة في فصل معنون ب:"التكوين العام للسورة"، يقدم الكاتب حقيقتين هامين: الأول هو الصفة الوصائية للسورة، والثاني هو التعايش بين نوعين من النص: الاول يعود إلى احداث ظرفية والثاني يحمل رسالة كونية. في الواقع، التحليل يُظهر في المقام الاول أن السور هي خطاب يشبه خطوات الارادة Allures de testaments ، هذه الخلاصة تقوم على العديد من مذكرات الكتاب المقدس (التحالف مع الله، التداخل بين الانواع التشريعية والسردية، الأمر إلى طاعة القانون.....) الذي يؤكد السورة ولا يترك أي شك. حسب الكاتب هذه المقاربة تواجه تشابه الحالات بين شخصية موسى ومحمد.

النتيجة الثانية الدالة هي التركيز على النصوص الاستراتيجية المرتبة بلاغيا في الوسط والمتجسدة في رسالتهم الكونية. هذه المركزية تتباين مع نصوص اخرى المرتبة بلاغيا في المحيط تضعها بقوة في مكانة مميزة ....يبدو انها لها قيّم ومبادئ في تأويل مجموعة من الآيات الظرفية التي تحيط بهم.

يختتم الكاتب من الباب الاخلاقي والكوني لهذه الرسائل (9آيات) التي تتقاطع مع ميزة محدودة وأحيانا جدلية مع بقية السور. كخاتمة، ميشال سيبرس يقترح العودة غلى المنهجية البلاغية ويسطر على كيف ان القران يستخدم بكل اصالة قواعد البلاغة السامية/المقدسة، مرجع ميشال سيبرس هو مرجع ملفت للانتباه حيث يبيّن فيه بكل وضوح التحليل والادلة. رغم التقانة الكبيرة التي يتطلبها التحليل البلاغي، حاول الكاتب تسهيل عملية قراءة النصوص القرآنية في ابسط تفاصيلها وبدون شك ان ترجمة النص بالفرنسية إلى جانب النص العربي يثقل التحليل بطريقة مفرطة. يؤكد ميشال سيبرس بطريقة مقنعة أنه هناك وحدة تكوينية للسور وهذا ما يثبته التقطيع التماثلي أنه هناك ترتيب بلاغي خاص للنص، يرى أن القران يجيب عن فن بنائي نصي سامي بالدرجة الاولى.

المقاربة التناصية هي منهجية متكاملة غنية في التعليم، ندرس وضعية النص والتماثلات التي ترافقه حيث نجح سيبرس في تحديث العمل المعقد في اعادة الكتابة لمعالجة القرآن من خلال بعض النصوص القدسية.

- ❖ و هذه فقط عرض وصفي للكتاب و اترك للمتخصصين التقييم و النقد و البناء عليه من خلال أرضية جديدة في الفهم و التنزيل . و الله أعلم

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891

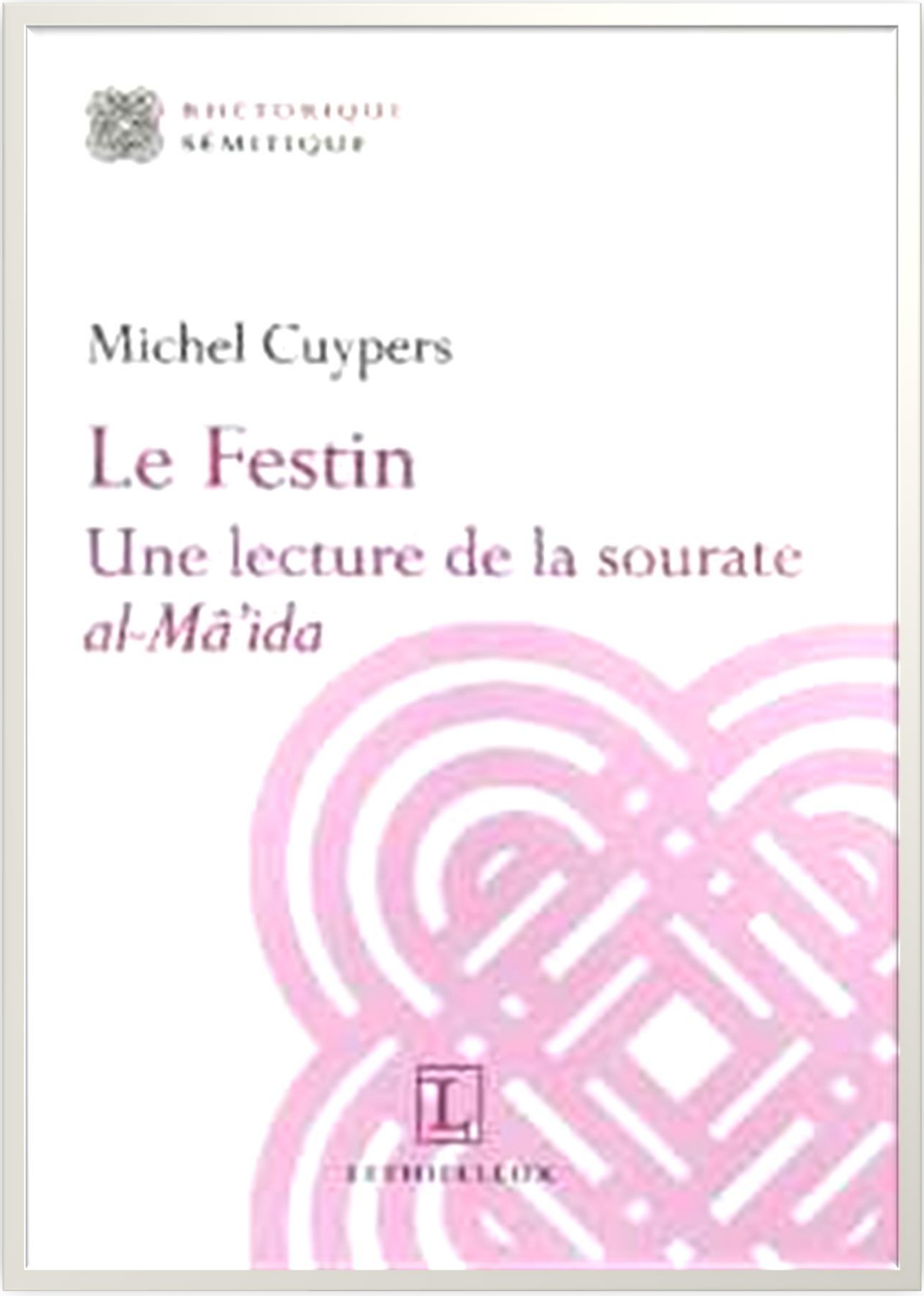

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883
Online ISSN: 2708 – 7891